آفاق عربية

فكرية شهرية عامة

١٢
السنة الثانية عشرة

آفاق عربية

المدير الفني: رياض عبد الكريم

العدد الثاني عشر ـ السنة الثانية عشرة ـ كانون اول ١٩٨٧

الفهرست

٤ ـ البعد الاخر لمهرجان المربد الشعري	رئيس التحرير
٦ ـ مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام	د. محمود عبدالله الجادر
١٨ ـ ترجمة الشعر	د. لطيف زيتونة
٢٤ ـ الصورة الشعرية والبلاغة	د. صبحي البستاني ـ بيروت
٣٠ ـ لماذا اغتيل رستم حيدر؟	حمزة مصطفى
٤٠ ـ الميثولوجيا: الهدف والوظيفة	د. جبران واكد ـ بيروت
٤٤ ـ تنظيم استخدامات التكنولوجيا النووية	نجدت صبري عقراوي
٥٢ ـ بناء المكان ودلالته في رواية الحرب	عبدالله ابراهيم
٦٠ ـ الزمن وحركة الحياة	د. باسل البستاني
٦٤ ـ سنوات اليوت الاولى	ترجمة عبدالواحد محمد
٧٢ ـ العقود في العمارة العربية الاسلامية	حميد محمد حسن
٨٤ ـ العناصر الاساسية في الفن التشكيلي	ترجمة فخري خليل
٩٤ ـ نظرية الادراك الحسي عند افلاطون	عبدالجليل كاظم الوالي
١٠٢ ـ القلادة الماسية ـ البروفة الاخيرة قبل الصعود الى المقصلة	ترجمة يعقوب ابونا
١١٣ ـ اعلام الفن التشكيلي ـ مونيه	اعداد قسم الترجمة

طبعت على مطابع دار الشؤون الثقافية

الغلاف الاول للفنان مخلد المختار

الغلاف الاخير للفنان ناطق عزيز

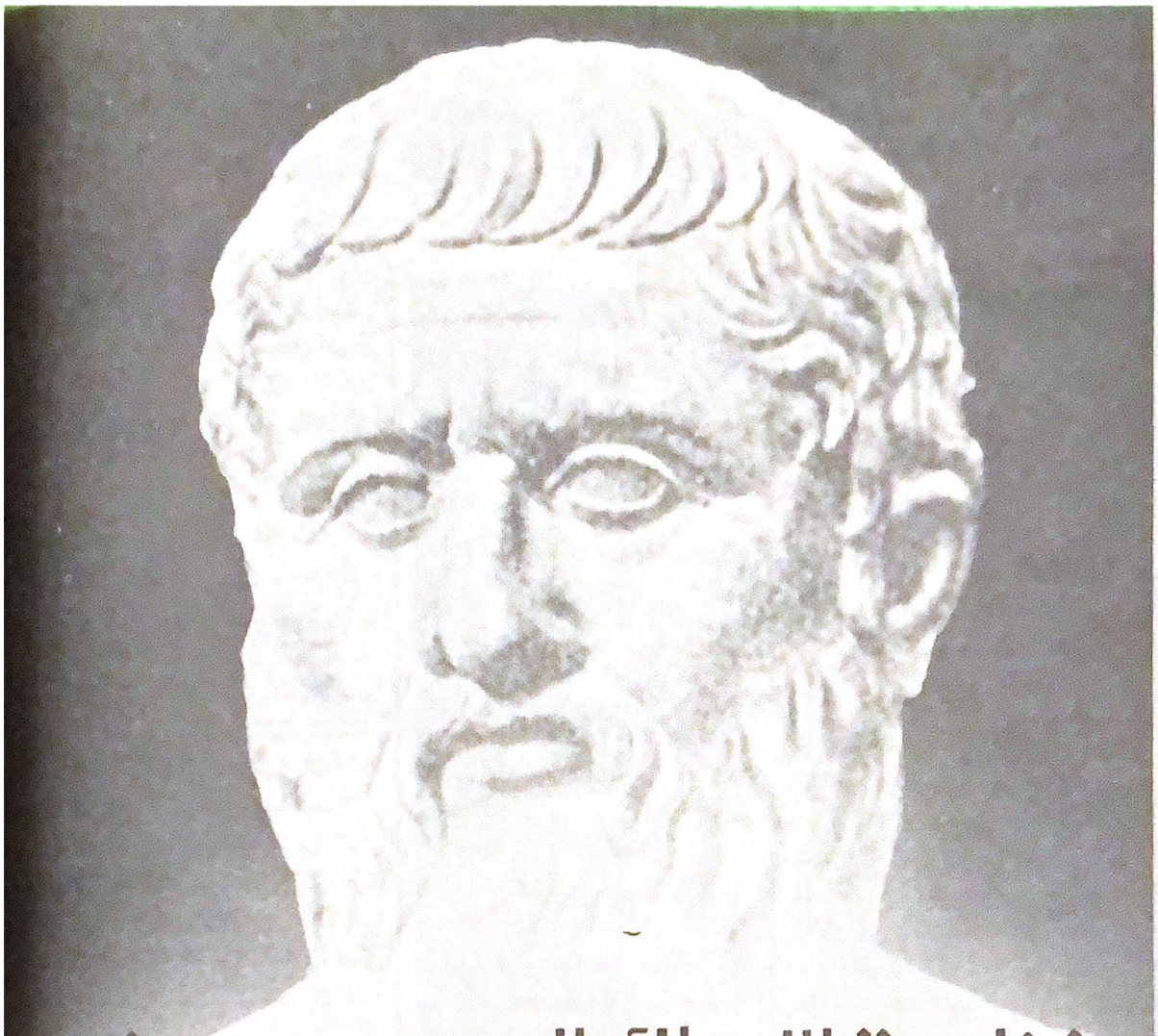

نظرية الادراك الحسي عند افلاطون

افلاطون فيلسوف يوناني موسوعي، شملت ابحاثه ومعالجاته الفلسفية اغلب القضايا الفكرية المطروحة، إبتداءً من ظهور طاليس، وحسمه المسألة الاساسية في الفلسفة، حتى إستاذه سقراط في نظريته بالمدركات العقلية. ونتيجة لهذه الغزارة الفكرية والمعالجات الفلسفية، درس الفلاسفة اليونان الذين جاءوا بعده (كارسطو، زينون الرواقي، ابيقور، بيرون، افلوطين) فلسفته. ولم يقف الأمر عند حد فلاسفة اليونان، إذ اهتم فلاسفتنا العرب المسلمون بفلسفة افلاطون، واستمرت هذه الحال في الفلسفة الحديثة والمعاصرة أيضاً، واليوم في قرننا هذا نجد اغلب الباحثين والمفكرين مهتمين إهتماماً خاصاً به.

ان نظرية الادراك الحسي في فلسفة افلاطون تمثل حلقة في سلم المعرفة الافلاطوني. فقد قسم افلاطون المعرفة الى: الحسية، الظنية، الرياضية، العقلية، ونظرية الادراك الحسي، هي اللبنة الاولى في المعرفة الظنية، ويتبين موقعها بوضوح من خلال تناولنا معنى الادراك الحسي، الحواس، الفرق بين الاحساس والعقل، موضوعات الادراك الحسي، طبيعة عمل الادراك الحسي.

١. معنى الادراك الحسي

لأجل تحديد معنى الادراك الحسي، لابد من توضيح معنى الاحساس، لارتباط الادراك الحسي بالاحساس، فـ «الاحساس هو قبول صورة الشيء دون مادته»[1]، وهو مجرد الانفعال عن الكيفية

عبد الجليل كاظم الوالي*

الحسية، مثل إنفعال العين عن اللون، أو انفعال الذوق عن الطعم[7]، والاحساسات كما يعرفها وليم جيمس «بانها العناصر الاولية للشعور»[8]. أما الادراك الحسي «فهو ادراك الشيء الذي ينفعل الحس عن كيفيته وذلك بالاستعانة بتجربتنا الماضية»[9].

وعلى هذا الاساس، فالاحساس يتطلب وجود عنصرين اساسيين هما اعضاء الحس (الحواس)، والموضوع الذي تتعامل معه هذه الحواس. الموضوع هو موجودات العالم الخارجي، المتكثرة، المتنوعة، المتغيرة، وعملية تعامل الحواس مع الموجودات، ينبني على كون كل حاسة من الحواس تختص بجزء معين من الموجود موضوع التعامل، وبالتالي تنقل الحاسة الاحساس الذي تنفعل به، فحاسة البصر تنقل الانفعال الذي يحدثه جزء من الصورة موضوع التعامل وكذا الحال بالنسبة للمس أو الذوق... والحواس الاخرى.

اذا جاء التعريف هو قبول صورة شيء، ذلك ان الحواس تنفعل نتيجة لتأثير مادة الشيء على الحاسة، لكن الحاسة لا تنقل المادة موضوع الانفعال، بل تنقل صورة المادة بهيئة إنفعال، وعملية النقل هذه تنفذ عبر التيارات العصبية المرتبطة بالحاسة، الى مركزها الاعلى في الدماغ، فهي اذن (أي الحواس) نقلت مادة خام اولية متفرقة ومتنوعة، وأوصلت هذه المادة بهذا الشكل الى الدماغ، وتستمر بهذه العملية وعند هذا الحد فقط، اذ يبدأ الدماغ الانساني بتجميع جزئيات الصورة، ليرتبها وينظمها، ويجعل من الكل واحد، ومن الاجزاء صورة واحدة، وهكذا تتكون الصورة عن الشيء موضع التعامل.

ولم تقف وظيفة الدماغ عند هذا الحد، بل ان الصور تنطبع به، للاحتفاظ بها، ونتيجة إنطباع الصور، وتكرار غيرها، واستمرارية هذه العملية، وعامل الزمن يصبح الدماغ الانساني ممتلكاً لخزين من الصور الحسية، التي اكتسبها بهذه الطريقة، وهذا الخزين من الصور الحسية، إضافة الى الاحساس الحاضر الذي يولده الظرف المكاني والزماني، يكونان عنصري الادراك الحسي، وكما يقول برتراند رسل بأن «الاحساس إذا ما ملىء بكلمات او ذكريات يصبح إدراكاً حسياً ويكون جزءاً من الذات المدركة وعندئذ يعد منتمياً الى عالم العقل»[10].

٢ . الحواس.

بعد ان أوضحنا ما الادراك الحسي، وما الاحساس، فلنتابع الآن وجهة نظر افلاطون في هذه المسائل، ولنبدأ بتشخيصه للحواس، باعتبارها جزءاً اساسياً في نظرية الادراك الحسي.

شخّص افلاطون حواس الانسان، وحدد وظيفة كل منها ودورها، فالحاسة الاولى البصر، اداتها العين التي ترى بواسطتها المرئيات، والسمع، اداته الاذن التي تدرك المسموعات عبرها، و «بقية الحواس (تدرك) سائر المحسوسات»[11]، اذن هناك حواس، واداة لكل حاسة من الحواس، فما هي الحواس عند افلاطون ؟

إبتداءً يجب القول ان افلاطون لم يكتف فقط بالحواس الخمس، المعروفة لدى الجميع، بل ذهب ابعد من ذلك، نتيجة لاستيعابه حركة العالم، التي ينتج من جرائها شكلين لا نهائيين، احدهما له قوة الفعل، والآخر له قوة الانفعال «ومن اقترابهما واحتكاكهما المتبادل ينشأ عدد لا نهائي من الآثار الناتجة على شكل ازواج توائم، الاول هو المحسوس والاخر هو الاحساس الذي يتفتح وينشأ في نفس الوقت مع المحسوس»[12].

وفي هذه الحال ترتبط تسمية الحواس، بالشكل الجديد، الذي يظهر من خلال هذا التفاعل بين الفاعل والمنفعل، واستطاع افلاطون ان يسمي بعضاً من هذه الحواس كـ «البصر والسمع والشم والاحساس بالبرودة والحرارة او باللذة والالم أو الرغبة والخوف، وحسبنا ذكر هذه، أما ماليس لها اسم فعددها لا نهائي وان استطعنا تسمية العديد منها»[13]، ويضيف البيروني، توضيحاً لرأي افلاطون على انه يعتقد كون النبات والحيوان لهما حس ايضاً إذ يقول:

«يرى (أي افلاطون) ان للغروس حساً لما يرى في النبات من القوة المميزة بين الملائم والمخالف والحيوان حيوان بالحس»[14].

وهنا تكمن عبقرية افلاطون، ففي قرننا العشرين تقسم الحواس في جسم الانسان من حيث طبيعة الشعور الذي تولده الى :-

اولاً: الحواس العامة: وتنتشر متقبلات هذه الحواس في كل اقسام الجسم السطحية منها والعميقة ولا تكون متجمعة في عضو واحد يختص بها وتشمل :-

١. الحواس السطحية ومنها:

أ - حاسة اللمس ب - حاسة الالم جـ - حاسة الحرارة د - حاسة البرودة.

٢ - الحواس العميقة وتشمل :-

أ - الحس الحركي الوضعي وهو الحس الذي يرافق حركة العضلات والمفاصل ووضع اجزاء الجسم.

ب - حس التوتر العضلي وهو الحس الذي يرافق توتر العضلات.

ثانياً

الحواس الخاصة : تتجمع متقبلات هذه الحواس عادة، في عضو واحد متخصص بها، كتجمع متقبلات البصر في العين وتوجد اعضاء هذه الحواس جميعها في الراس وتشمل:

١. حاسة الشم وعضوه الأنف.

* كلية الاداب / جامعة بغداد.

٢ ـ حاسة الذوق وعضوه اللسان.

٣ ـ حاسة السمع وعضوه الاذن.

٤ ـ حاسة البصر وعضوه العين.

٥ ـ حاسة التوازن وعضوه التيه.

ثالثاً:

الحواس الحشوية: وهي مجموعة الحواس التي توجد متقبلاتها في الاحشاء الداخلية للجسم.[٣٠]

ولم يكتف افلاطون بتوضيح هذه الكثرة من الحواس، بل وضح طبيعة عمل الحواس، على انها مختلفة الوظيفة والنتيجة، وكل ماتدركه بملكة لا تدركه بواسطة ملكة أخرى، فالادراك مختلف باختلاف الملكات الانسانية «ان الادراك الذي يأتيك بالسمع لا يمكن أن يأتيك عن طريق البصر، وان الاحساس الذي يأتيك بالبصر لايمكن أن يأتيك بواسطة السمع»[٣١]، وعلى الرغم من هذا الاختلاف المتباين بين الحواس، فانها لا تحتاج الى عنصر ثالث لاتمام وظيفتها الحسية عدا حاسة النظر وهو القائل: ـ «سقراط: ....أيوجد نوع آخر تطلبه الأذن والصوت لاتمام وظيفتها، فتكون هي سامعة وهو مسموعاً، وبفقده تتعطلان، فلا الصائت بمسموع ولا الأذن بسامعة.

فلوكون: لا يوجد شيء من هذا القبيل.

سقراط: وعندي أنه يندر وجود حاسة أخرى تطلب شيئاً ثالثاً من هذا النوع على فرض وجودها.»[٣٢]

لكن حاسة البصر والشيء المنظور، يحتاجان الى عنصر ثالث، فرغم كون البصر موجود في العين، وبامكان الفرد إستخدام هذه القوة الموجودة في العين ورغم كون اللون موجود هو الآخر في المرئيات، التي يتعامل معها المرء بواسطة قوة البصر التي يمتلكها، إلا ان العين لا تتمكن من أداء غرضها، وتعاملها مع لون المرئيات إلا بوجود النور العنصر الثالث المضاف لحاسة البصر «فيظهر ان حاسة البصر، بين كل الازواج المار ذكرها، ومزيتها التي هي فعل البصر، قد ارتبطا بأشرف الربط، الذي طبيعته جليلة الشأن، إلا اذا كان النور عديم الاعتبار»[٣٣].

ويركز افلاطون على النظر، وينيط به اهمية خاصة، ويعتبره السبب الاساس الذي جعل من وجه الانسان في هذا الشكل، فوجه الانسان يحتوي على «أجهزة إستبصار النفس واستدراكها كله ورتبوا أن يكون هذا القسم من الجسم شريكا في القيادة، وهو القسم الامامي»[٣٤].

ويسمي العينين بالناظرين حاملي النور، ويحدد طبيعة تركيبهما، ومنشأهما، فهما يتألفان أصلاً من أقسام النار التي لا تحرق، بل توفر نوراً لطيفاً «وكثفوا خصوصاً قسم العينين الأوسط، بحيث يمنع عن التسرب كل قسم آخر غليظ من النار، ولا يدع ينساب منها إلا مثل هذا القسم النقي وحده»[٣٥].

أما كيف تحدث الرؤية:

«فعندما يلقى نور النهار تيار البصر، ويقع إذاك الشبيه على الشبيه فيتكاثف ذلك النور، ينشأ ويتركب على خطّ الناظرين المستقيم جسم واحد مؤتلف. وحيثما يستقر النور المنحدر من داخل العينين، يقع على النور المنعكس عن الاشياء الخارجية ويلتقي به. فيغدو كله ذا إنطباع مماثل لانطباع النور الخارجي بسبب التشابه بينهما. وان مسّ شيئاً من الأشياء في حالة من الحالات أو مسّه شيء من الاشياء، فهو يبعث حركات الاشياء التي يمسها أو تمسه الى الجسم بجملته حتى تبلغ الروح، ويثير ذاك الشعور الذي نقول عنه إننا نرى بناء عليه»[٣٦].

ويعتبر افلاطون خير العيون أكبر خير منحتنا الآلهة، لان العمل الذي تقوم به العيون هو أعظم عمل لأجله وجد الانسان، فلولا البصر لما رأى الانسان النجوم والشمس والفلك ولما فكر بكون العالم، فرؤية النهار والليل ودورات السنين واعتدال الربيع والخريف وانقلاب الصيف والشتاء، هذه الأمور حسب رأي افلاطون انشأت الحساب وتفهم الزمن، وان كانت مثل هذه الأمور غير موجودة لما استحصلنا الفلسفة وأخيراً يقول:

«ان الله قد استنبط لنا البصر وحبانا إياه لكي نرى دورات العقل في السماء وندركها ونستفيد منها لتطبقها على دورات الادراك الذي فينا»[٣٧].

ويقصد افلاطون من تحليله هذا للمحسوسات واضافة العنصر الثالث الى البصر، الوصول الى ان هذا النور مصدره الشمس، والشمس هي مولد الخير وقد ولدها الخير الاعظم على صورته ومثاله، اي ان علاقتها بالعالم المنظور، بالبصر واشيائه هي كعلاقة الخير الاعظم في العالم الروحي بالذهن والموضوعات.

٣. الفرق بين الاحساس والعقل.

يرى افلاطون ان بعض المحسوسات لاتنبه في الانسان عمل الفكر، لكونها محسوسات ويورد مثال الأصابع، التي هي الخنصر والبنصر والوسطى.

فهذه الاصابع، هي حقيقة واقعية موجودة بقدر تعلقها بالمكان، أي في موقعها بين الأصابع الأخرى، او اللون بيضاء، سوداء، غليظة، دقيقة، فالحس يتعامل معها وفقاً لهذه الاعتبارات، وتكون مواصفاتها هذه من إختصاص الحس، لكن الحال تختلف، ان كان السؤال:

١. هل هذه اصابع او غير اصابع ؟

٢ . حجم الاصابع النسبي ؟

٣ . درجة خشونتها أو نعومتها ؟

هذه الاسئلة لا يستطيع الحس الاجابة عنها، وعدم إجابته عنها تعني أن «هناك من نقص وسائل بقية الحواس في مثل هذه الاحكام»[٢٥].

ويكرر افلاطون أمثلته المختلفة، ليوضح فيها نقص وسائل الحس، إذ يرى أن الحس يتعامل مع الاشياء الخشنة والناعمة، الثقيلة والخفيفة، لكنه (أي الحس) لا يحسن التعامل مع هذه الأشياء موضوع التعامل، فمن الممكن أن يخبرنا الحس بان الشيء الثقيل خفيفاً، أو الشيء الناعم خشناً، وهذا التناقض سببه «ان كل نبأ في قسم له وحدة خاصة واوصاف خاصة»[٢٦].

ويبغي افلاطون من وراء هذا التحليل، القول بان مسؤولية فرز هذا التناقض وتفحص مادة الحواس هي من إختصاص العقل، فالعقل وحده هو الذي يكشف طبيعة النبأ الوارد إليه، لان العقل يرى ان هذه الاحكام غريبة ويلزم فحصها فـ «اذا كان كل منها واحد، وكلاهما اثنان (النبأ الوارد من الحس) إستنتج العقل ان الاثنين متمايزان واذا لم يتمايز تعذر الازدواج، حكم الذهن انهما واحد لا إثنان»[٢٧].

ولنقتبس حواراً من افلاطون يوضح ذلك:

سقراط: فتقول ان حاسة البصر نقلت إلينا الشعور بالكبير والشعور بالصغير متحدين لا متمايزين. الست مصيباً ؟

غلوكون: مصيب.

سقراط : ومن الجهة الاخرى متى عكس التفكير فعل البصر، إضطر لأجل التأثير الحسي أن يعتبر الاشياء الكبيرة والصغيرة متمايزة لا متحدة.

غلوكون: حقاً.

سقراط: الا تولد فينا مناقضة من هذا النوع ميلاً الى السؤال: ماهو الكبر، وما الصغر.

غلوكون: تولد من دون شك.

سقراط : وعلى هذا النمط تقاد الى التميز بين مواضع التفكير ومواضع النظر.[٢٨]

وأحسن توضيح للفارق بين العقل والحس عند افلاطون مانجده عند البيروني إذ يقول:

«فالحواس التي تخدم القلب تدرك الشيء الحاضر فقط، والقلب يتفكر في الحاضر ويتذكر الماضي، والطبيعة تستولي على الحاضر وتدعيه لنفسها في الماضي وتستعد لمغالبته في المستأنف، والعقل يعرف مائية الشيء غير متعلق بوقت وزمان ويستوي عنده الغابر والمستقبل، واقرب اعوانه إليه الفكرة والطبيعة وابعدها الحواس الخمس، فمتى ما أوصلت الى الفكرة شيئاً من المعارف جزئياً هذبته من الاغلاطات الحسية وسلمته الى العقل فجعله كلياً واوقف النفس عليه فصارت به عالمة»[٢٩].

٤ . موضوعات الادراك الحسي

يمكن تحديد موضوعات الادراك الحسي، وسير عمله بما يلي:-

اولاً: العالم

يناقش افلاطون في محاورة طيماوس ويعني به «الفلك برمته أو العالم أو ذاك الشيء الاخر ـ ولنسميه بأي اسم قد يسمى به ويتقبله افضل قبول»[٣٠]، وهذه التسمية شمولية، عامة، كلية، وتندرج تحتها كافة أصناف الحيوان والنبات والجماد والاشياء المصنوعة، وكل ما له وجود ولو جزئي في هذا العالم الأرضي الذي يتعامل معه الانسان وهو جزء منه.

أما كيف وجد العالم ؟ فالعالم حادث في رأي افلاطون، وحدوثه طبقاً للمثال الأزلي، اذ كان الصانع او مثال الخير يتربع على قمة المثل جميعاً، فينظر الصانع الى المثل، ويشكل الهيولى على ضوء نظرته للمثل، وهو القائل «... واضح لكل عاقل انه كان ينظر الى المثال الأزلي لان العالم هو ابهى الصائرات، ومبدعه خيرُ العلل واذا أحدث على هذا النحو، فهو يدرك بالعقل والفهم، وقد ابدع طبقاً للمثال الثابت»[٣١]، ونتيجة لذلك يصبح هذا العالم ماهو الاصورة لعالم المثل، لكن رغم كون منزلة العالم هكذا، فانه في رأي افلاطون من غير الممكن أن يرتقي الى عالم المثل، الثابت، وحتى براهينه هي الأخرى مختلفة طبقاً لطبيعة تكوينه، «فالثابت اذن والراسخ بعد (ادراك) العقل، تلزمه براهين ثابته لا تتحول. ويليق قدر الأمكان أن تقوم هذه البراهين على أقوال لا تدحض و لاتقهر أو تتزعزع، وأن لا ينقصها شيء من القوة والمتانة»[٣٢].

أما براهين هذا العالم المادي، فيغلب عليها طابع الاحتمال، الذي هو سمة حركة العالم، فهي اذن تتعلق بالاعتقاد والظن.

أما شكل هذا العالم فهو كروي، لأن الشكل الكروي يضم في ذاته الأشكال الأخرى كافة، وسطحه أملس ناعم من ظاهره، ولم يحتج العالم الى عيون وسمع، لانه لم يترك شيئاً خارجاً عنه غير منظور، ولا يحتاج الى السمع اذا لم يكن هناك شيء يسمع خارجه، ولم ينفذ، ولم تكن له أياد أو أرجل لعدم حاجته الى الأخذ أو التنقل، أما حركته فهي منسجمة مع العقل والفكر، وهي حركة دائرية فيدور على نفسه دوراناً، وقد جعل الصانع روح العالم أسبق في الوجود على الجسم.

وارتبط بعملية تكوين العالم نشوء الزمان، «لأن النهار والليل والشهور والسنين لم تكن قبل حدوث السماء، ولكن الله إستنبط

حدوثها عندما كان يركب الفلك»[٣٣]. «فالزمن إذن حدث مع الفلك، ليولدا معاً وينحلا معاً، إن جرى انحلالهما يوماً ما»[٣٤].

وهناك تفصيلات ومعالجات للكواكب السيارة، الليل والنهار، السنة الكبرى، الارض «وقد إستنبط الله الارض حاضنة لنا ومربية، ولفها حول المحور الممتد خلال العالم كله، وخولها ابداع الليل والنهار، وأقامها حارسة عليهما، وجعلها اولى الآلهة الذين نشأوا داخل الفلك وأقدمهم عهداً»[٣٥].

وينتهي افلاطون الى تقرير كون هذا العالم يتألف من العناصر الاربعة النار والتراب والماء والهواء، ومن سماء واحدة مرئية وملموسة، والعناصر الأربعة رتبها الله وفقاً لنسب معينة، بحيث نشأ بينها التئام وصداقة، ونتيجة لهذا الالتئام والصداقة أصبح العالم مرصوصاً، ومتماسكاً لا تنفصم عراه[٣٦].

ثانياً: الانسان.

لما كان الانسان هو الذات العارفة في هذا العالم، اذن يعتبر العنصر الثاني من عناصر الادراك الحسي، وهو أحد عناصر الوجود والكائن الوحيد المتعامل مع الوجود، وهو الذات العارفة التي تستطيع تشخيص الوجود، وفي رأي افلاطون يتألف الانسان من عنصرين هما الجسد والنفس، والجسد شيء مادي حاله حال أي مادة في هذا العالم، لكن افلاطون يقف عند:-

أ: النفس.

ويتناول توضيحها في ثنايا محاورات خاصة، اذ تتركز معالجته لها في محاورة مينون[٣٠]، فيدون[٣١]، الجمهورية، فايدروس[٣٢]، جورجياس[٣٣]، طيماوس. ففي محاورة طيماوس يتناول طبيعة تكوين النفس من قبل الصانع اذ يقول:- «أخذ الله من الجوهر (الدائم الثبات على حال واحدة) وغير القابل للانقسام ثم من الجوهر المنقسم المحدث في الأجسام، ومزجها وصنع منها صنفاً ثالثاً من الجوهر متوسطاً بين الأثنين، له طبيعة ماهو عين ذاته وطبيعة الآخر، وأقام الثبات في الوسط بين غير المنقسم من الجوهرين وبين المنقسم المتعلق بالأجسام. ثم عاد وأخذ هذه الجواهر، وهي ثلاثة، ومزجها وعمل منها كلها صورة واحدة، ولما كانت طبيعة الآخر عسرة الخلط حشرها ونظمها بالعنف، وضمها الى طبيعة ماهو عين ذاته، ومزجها مع هذا الجوهر. واذ جعل من الثلاثة واحداً، ثم عاد وقسم هذا الكل الى الاقسام التي ينبغي ويليق أن تقسم. وكل قسم مستمد أصلاً مما هو عين ذاته ومن الآخر ومن الجوهر الممزوج الناتج عنهما»[٣٤].

ومعنى هذا ان افلاطون اعتبر النفس جوهراً بسيطاً، ولا تمت بأية صلة الى التكوين البيولوجي للجسم، وهي سبب فاعلية الجسم، تتحكم فيه، تقاوم مطاليبه، تحركه، تديره، تعانده، وهي سبب كل سلوكه وافعاله، ولها قوى ثلاث:-

- القوة العاقلة - التي ترتبط بالقسم الذي نعقل به.
- القوة الغضبية - ترتبط بالقسم الذي به نغتاظ.
- القوة الشهوية - حليفة اللذة والانقياد.

وهو القائل:-

«أفليس من الجوهري أن يكون الحكم في قبضة مملكة الذهن لكونها حكيمة، فتقوم بتدبير مصالح النفس كلها، وتكون مملكة الحماسة في النفس بمثابة حليفة ورعية»[٣٥]، «وندعو الانسان عفيفاً باعتبار تلاؤم هذه الاقسام والقوى واتزانها وائتلافها؟ أي حين يتفق القسمان المحكومان مع القسم الحاكم حاسبين القسم العقلي صاحب الحق الملوكي»[٣٦].

ورغم تقسيم النفس الى هذه القوى الثلاث، إلا إن افلاطون يحافظ دائماً على وحدة هذه النفس، رغم بيان أجزائها، لكونه يجزم وبشكل لا يقبل النقاش بان أقسام النفس هذه يجب أن تؤلف جوهراً واحداً، والاخلال بتأدية اي من مهام هذه الاقسام يعني إنسحاب ذلك الخلل على باقي الاجزاء الاخرى، وخروج النفس عن الهدف المرسوم لها، ويعالج هذه الناحية في مصير النفوس بعد الموت[٣٧].

ومما يدعم وحدة النفس هذه، هو ان افلاطون اثبت وجود نفس روحية للانسان، نتيجة لسببين: الاول «انه (أي الانسان) يعقل المعاني الكلية أو المثل وهي غير متحققة في التجربة بما هي كلية، وغير مكتسبة بالحس، فلابد من قوة روحية مثلها تعقلها، والسبب الآخر ان المادة جامدة ساكنة بطبعها، فلابد من مبدأ لا مادي يحرك الجسم.»[٣٨]، اذن لم تكن هناك نفوس في الانسان بل نفس واحدة، ويدعم ذلك أيضاً عملية الموازنة التي قام بوضعها افلاطون بين أجزاء النفس وشرائح المجتمع الثلاث، رغم ان المجتمع لديه بنية واحدة، والعدالة الاجتماعية تقضي بان لا تتدخل أية شريحة في وظيفة الأخرى.

فضلاً على ذلك كان افلاطون يؤمن ايماناً قاطعاً بخلود النفس، ويقدم أدلة على ذلك:-

١ - تكرار دورة الحياة.
٢ - دليل المعرفة.
٣ - تمييز بين الحي والجامد.
٤ - حجة البساطة والتركيب.
٥ - حجة الحركة[٣٩].

ثالثاً: الانطباعات الحسية.

عندما يتكلم افلاطون عن الانفعالات الحسية، التي تكون في

النتيجة النهائية، إنطباعاً حسياً، يحفظ في العقل، فانه يجعل من أمور الجسد والروح أساس الحديث عنها، ويبدأ بالحديث عن الحار والبارد، فسبب قولنا عن النار انها حارة، (وهذا القول هو حكم من الادراك الحسي) يعني «من باب المحتمل المعقول، مايُحدث الانفعال الحسي ويوفر له اسمه»[٣]، وكذا الحال بالنسبة للقاسي والناعم «القاسي هو ماينقاد ويذعن له لحمنا. واللينّ هو ماينقاد ويذعن للحمناء»[٤].

اما الثقيل والخفيف فيرتبطان بالاسفل والاعلى، فالاسفل هو ما «يندفع إليه هارباً كل ما له حجم جسماني، والاعلى اليه ينطلق مكرهاً كل شيء»[٥].

اللذة والالم «ماهو مخالف للطبيعة وعنيف اذا تواتر يُحدث فينا إنفعالاً اليماً. وكذلك مايجاري الطبيعة اذا تواتر يؤثر فينا تأثيراً لذيذاً»[٦].

ويستمر بنفس الطريقة لتوضيح باقي الانفعالات الاخرى، كالقابض والفج، المر والمالح والحاد، الحامض، الرغوة أو الزبد، المذاقات العذبة، الروائح، السمع والصوت، الالوان، الابيض الاسود، والالوان التسعة الاساسية.[٧]

يهدف هذا التحليل الوصول الى نتيجة مفادها ان الذات العارفة لا تستطيع أن تشخّص وتميز، وتفرق بين هذه الانطباعات الحسية، الا بتوفر الخزين الانطباعي الذي سبق الحالة موضوع الانفعال، كي تتمكن النفس من مقارنة الانفعال الحالي، مع ماتمتلكه مع انطباعات سابقة محفوظة لديها، عندما نستطيع القول بان هذا الشيء حار، ذاك بارد، وهذه لذة وتلك الم.... وهكذا. ونجد هذه الحالة بشكل واضح عند الطفل في سني عمره الاولى ، اذ لا يمتلك القدرة على اصدار الاحكام، ثم انه يقضي أغلب وقته في نوم عميق، ويحتاج الى محفز قوي لايقاظه، وسبب ذلك كون هذا الطفل لا يمتلك انطباعات سابقة، كي تساعده على اجراء المقارنة والتحليل، وبالتالي إصدار الاحكام، وسنناقش ذلك تفصيلاً في الفقرة اللاحقة.

٥ . طبيعة عمل الادراك الحسي

ناقش افلاطون الادراك في محاورة تياتيتوس، من حيث المعنى، ووازن بين من يقول بان المعرفة هي الادراك الحسي، وقول بروتاغوراس، الانسان مقياس جميع الاشياء، ففي عملية الادراك الحسي، يتعامل المرء مع الاشياء، كما هي تبدو للحواس، لكن هذه الاشياء في حالة صيرورة دائمة، مثلما قال هيراقليطس، فهي متغيرة في هذه اللحظة عن اللحظة التي تليها، والتي سبقتها، ولما كانت الاشياء متغيرة، متبدلة، لا تثبت على حال واحدة، والادراك الحسي هو عملية تفاعل بين المدرِك والمدرَك، اذن الذات العارفة، قبل أن تصدر حكماً من حصيلة معرفتها بشيء خارجي موضوعي، فان هذا الشيء يتغير، يتحول، يتبدل أي يمكن القول ان الشيء يتغير قبل نطق الحكم، ونتيجة لذلك يجد المرء نفسه عاجزاً بشكل كلي عن أن يقول شيئاً، وبناء على ذلك فان رأي بروتاغوراس يصبح غير ممكن من هذه الناحية.[٩]

واذا كان هذا هو حال موجودات العالم، وهذه هي حيرة الذات العارفة، اذن كيف يعمل الادراك الحسي ؟

أوضحنا سابقاً، ماالحواس، وطبيعة عملها، وبينا لكل حاسة من الحواس موضوعاً خاصاً بتلك الحاسة تتعامل معه فقط، وهذا الموضوع هو جزء من الموجود الخارجي، فالعين تتعامل مع اللون مثلاً، والاذن مع الصوت.... وهكذا مع بقية الحواس، ولكل حاسة عضو متخصص بها، ويؤدي وظيفة تلك الحاسة، وفي هذه الحال عندما تتعامل الذات العارفة مع أي موجود، تنقل لها حواسها أجزاء الصورة متفرقة، وليست مجتمعة، وتحتاج الصورة الى عملية جمع أو تنظيم، والجمع والتنظيم ايضاً يحتاج الى حاسة متخصصة وظيفتها اعلى من الحواس الأخرى، وهذه الحاسة ذات المرتبة العليا، في رأي افلاطون هي «النفس أو العقل، وهما لفظان غير متميزين عند افلاطون، فالنفس تدرك صفات عامة، كالهوية والاختلاف والوجود والعدد، فضلاً عن الصفات العامة التي تتضمنها الاخلاق والفن»[١٠]. وتصبح في هذه الحال :-

اولاً:

مسؤولية الفرز ليست في المحسوسات بل من فعل التفكير، فبالتفكير يقرر العقل أن الاشياء الكبيرة والصغيرة متمايزة لا متحدة، لكن افلاطون يخبرنا في محاورة فيدون، رغم كون الحواس خداعه فانه يقترح بان الحواس تساعدنا في البحث عن الحقيقة فمثلاً رغم كون المساواة المطلقة لا يمكن ادراكها بالحواس إلا انه لا يمكن إستخلاص هذا المفهوم عن أي طريق آخر عدا النظر واللمس وعن طريق احدى الحواس الاخرى.[١١]

ثانياً:

هناك موضوعات خاصة للفكر، واخرى للمحسوسات، وبينّا ذلك في ثنايا هذا البحث.

ثالثاً:

لما كان الادراك الحسي، حكماً،لكن هذا الحكم من غير الممكن أن يبنى فقط على معطيات الحواس، وكدليل على ذلك عملية تصور محسوسين في وقت واحد بادراك مشترك، كالصوت واللون، فانهما إثنان متمايزان أحدهما عن الآخر وكل واحد هو بذاته وانهما إثنان،

أما إدراك هذا التمايز بينهما فلم يكن بواسطة الحواس، بل لابد أن تكون هناك قدرة أعلىٰ من الحواس تدرك التمايز، وهذه القدرة هي النفس.[١٨]

رابعاً

الادراك الحسي ماهو إلا علاقة قائمة بين المدرك وبين الموضوع المدرك وهذه العلاقة تفسر اثر التفاعل بين الاثنين، فما يدعونا الى القول (أرىٰ منضدة) «ان هو في صميمه الا لمعات معينة من اللون أرتبطت هذه اللمعات اللونية بتصورات لمسية معينة، وقد يؤدي حدوثها الى نطقنا بكلمات، وقد تكون مصدراً لذكريات عندنا، فالاحساس اذا ما ملىء بالتصورات اللمسية، يصبح (شيئاً مدركاً) نفرض فيه انه مما ينتمي الى عالم الطبيعة، واما الاحساس اذا ما ملىء بكلمات أو ذكريات فيصبح (ادراكاً حسياً) يكون جزءاً من الذات المدركة وعندئذٍ يعد منتمياً الى عالم العقل».[١٩]

خامساً:

الادارك هو الميزة التي تميز الكائن الحي عن اللاحي، فالحي سمي بهذا الاسم لاتصافه بصفتين هما الحركة الذاتية، التي لا يمتلكها اللاحي، والصفة الاخرىٰ الادراك «الادراك لدىٰ الحي هو فعل، حركة، وهذا الفعل أو الحركة الذاتية ترتبط بجوهرها الى قوة هي علة الحياة وهي النفس».[٢٠]

سادساً:

الادراك هو وظيفة من وظائف النفس، ولما كان وظيفة من وظائفها فان «مهمة النفس هي إجراء محاورات مع ذاتها، وحين نصل الى حل لمسألة ما نقول ان النفس اصدرت حكماً».[٢١]

سابعاً:

عدم قيام علم بالاعتماد على الحواس، لان الحواس لا توصل الى ادراك الحقيقة ومن لا يصل الى الحقيقة لا يمكنه ان يقيم علماً، لان «العلم لا يقوم على المحسوسات بل يستند الىٰ تعقل الاحساسات اذ به يمكن ان نصل الى الوجود والى الحقيقة لكن بغيره لا يمكن»[٢٢]، فـ «الاشياء الفردية، بما تتميز من تنوع وتغير دائمين لا يمكن ان تخلق اي علم، بل ينشأ العلم بالتعامل مع أفكار هذه الاشياء وهي افكار عامة تلخص القيم الثابتة للأشياء المتغيرة».[٢٣] وما الادراك الحسي الا الدرجة الاولىٰ في سلم قيام العلم، لانه مرحلة اصدار الحكم الاولىٰ.

ثامناً:

اذا كان الادراك الحسي، يرتبط بالنفس، أي ان النفس في حالة الادراك تقوم باجراء ربط ومقارنة بين الاحساس الحاضر، الذي انفعلت جراءه حواس الانسان اثر تعاملها مع الموجود الموضوعي، وتقارن هذا الحس مع ماتحتفظ به من ذكرىٰ لمعطيات سابقة، وان «... الحكم كما يعرفه افلاطون هو أخذ مايشبه الشيء، ليس على انه مجرد شبيه، بل علىٰ انه الشيء نفسه»[٢٤]. فتصبح في هذه الحال الاحكام التي تطلقها النفس جميعها صادقة، لكن الواقع عكس هذا تماماً، فهناك احكام خاطئة واخرىٰ صادقة، فكيف يفسر افلاطون الحكم الخاطىء ؟

يرى افلاطون أن الحكم الصحيح هو أن نحكم علىٰ شيء ما بأنه على ماهو عليه، اما الحكم الخاطىء فهو الحكم علىٰ الشيء غير ما هو عليه، وان الحكم علىٰ الشيء غير ماهو يوضحه افلاطون وفقاً لاعتبارين:-

الاول:

هو ان افلاطون في محاورة تياتيتوس يضرب مثال الشمع، اذ يفرض انه يوجد في نفوسنا طبقة من الشمع، متفاوتة النسب، فهي عند احدنا مثلاً اغزر أو أخف منها عند الآخر أو أكثف، انقىٰ، اصلب، اكثر ليونة، ووظيفة هذه الطبقة الشمعية الاحتفاظ بما قد رايناه أو سمعناه أو تصورناه عن طريق الاحساسات وهذا الاحتفاظ يحفر ببروز كعلامات ينقشها عليها «وماينطبع فيه يكون لنا عنه ذاكرة وعلم طالما ظلت صورته موجودة وما ينمحي ولم ينجح في الانطباع ننساه ولا نعرفه على الاطلاق»[٢٥] وبالتالي يكون حكمنا الخاطىء مرتبطاً بالعلامة التي تنطبع على طبقة الشمع، أو بالعلامة التي لم يسبق التعامل معها.

الثاني:

يربط افلاطون الحكم الخاطىء باللاوجود، اذ يناقش السفسطائي الذي يعتبر اللاموجود من غير الممكن التفكير به أو النطق به فهو غير موجود، بينما يثبت افلاطون العكس فاللا وجود هو من بعض الوجوه موجود،وان الموجود من بعض الوجوه غير موجود، ثم ينتهي الى تحديد الظن او التخمين وماهو التخيل ليصل الى نتيجة اشتراك هذه الأمور اي الظن والتخيل في اللاوجود، وبعد أن يبرهن علىٰ ذلك يبرهن أيضاً على وجود الخطأ والكذب كنتيجة لذلك.[٢٦]

وكتوضيح أكثر، يرىٰ افلاطون أن الفكر هو الحوار داخل النفس بينها وبين ذاتها، أما الخطاب أو القول فهو «الجدول المتدفق من النفس خلال الفم، يصحبه الصوت»[٢٧] والحوار الذي يجري داخل النفس بصورة صامتة هوالظن، وفي هذه الحال بدا لنا الخطاب «خطاباً صادقاً وخطاباً كاذباً. وبما ان الفكر ظهر لنا حواراً يمت الى أحد هذين الخطابين تتناجىٰ به النفس في ذاتها مع ذاتها، وبما ان الظن أو الراي هو اكتمال الفكر «بالجزم سلباً أو ايجاباً»، وبما انه قد تراءىٰ لنا مانسميه مزيجاً من الاحساس والظن فمن حكم الضرورة اذن، بما ان هذه الافعال مجانسة للخطاب، أن يكون بعضها كاذباً في

بعض الاحيان»[٥٨].

واخيراً فان الادراك الحسي، في رأي افلاطون، ماهو إلا جزء من مرحلة في سلم المعرفة تتجاوز المعرفة الحسية، وترتبط بالمعرفة الظنية، واقل درجة من المعرفة الرياضية والمعرفة العقلية، وان المعرفة الظنية بشكلها النهائي تتجاوز الادراك الحسي فقط، وتصبح عبارة عن تنظيم للمدركات الحسية في نظام يحدد القبل والبعد.

الهوامش

١) نجاتي، د. محمد عثمان: الادراك الحسي عند ابن سينا، دار المعارف بمصر، طبعة ثانية، ١٩٦١، ص ٣٤.

٢) المصدر نفسه، ص ١٦١.

٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

٤) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

٥) رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الاول، ترجمة زكي نجيب محمود، مراجعة د. احمد امين، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٥٠.

٦) افلاطون: محاورة الجمهورية، ترجمة حنا خباز، بدون سنة طبع، ص ٢٠١.

٧) افلاطون: محاورة تيايتوس، او عن العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص ٥٤.

٨) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

٩) البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد: في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة، حيدر اباد ـ الهند ـ ١٩٥٨، ص ٣٣.

١٠) الهلالي، د. صادق: فسلجة الجهاز العصبي، الجزء الأول، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

١١) افلاطون: محاورة تيايتوس، مصدر سابق، ص ١٠٧.

١٢) افلاطون: محاورة الجمهورية، مصدر سابق، ص ٢٠١.

١٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

١٤) افلاطون: محاورة طيماوس، تحقيق وتقديم الير ريلو، ترجمة الاب فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨، ص ٢٥٢.

١٥) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

١٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

١٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

١٨) افلاطون: محاورة الجمهورية، مصدر سابق، ص ٢١٣.

١٩) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

٢٠) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

٢١) المصدر نفسه، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

٢٢) البيروني: تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص ٥٤.

٢٣) افلاطون: محاورة طيماوس، مصدر سابق، ص ٢٠٨.

٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

٢٥) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

٢٩) انظر: المصدر نفسه، ص ٢١٦.

٣٠) مينون محاورة لافلاطون ضمن
Plato: The dialogues of Plato, translated by Jowett, B.B Vol New York, 1937.

٣١) محاورة فيدون بها ثلاث ترجمات، الاولى ضمن محاورات افلاطون ترجمة زكي نجيب محمود، والثانية ترجمة وتعليق وتحقيق د. علي سامي النشار، وعباس الشربيني، في الاصول الافلاطونية فيدون وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط، دار المعارف، ١٩٧٤، والترجمة الثالثة احمد الشيباني، في اخر ايام سقراط.

٣٢) فايدروس ايضاً محاورة لافلاطون، ترجمة د. اميرة حلمي مطر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

٣٣) جورجياس ايضاً محاورة لافلاطون، ترجمة محمد حسن ظاظا، مراجعه د. علي سامي النشار الهيئة المصرية للتاليف والنشر، ١٩٧٠.

٣٤) افلاطون: محاورة طيماوس، مصدر سابق، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٣٥) افلاطون: محاورة الجمهورية، مصدر سابق، ص ١٤٠.

٣٦) المصدر نفسه، ص ١٤١.

٣٧) لمزيد من التفاصيل، إنظر اطروحتنا نظرية المثل عند افلاطون والنقد الارسطي لها، ص ١٣٣.

٣٨) كرم، يوسف: الطبيعة ومابعد الطبيعة، ص ٥٢.

٣٩) لمزيد من التفاصيل معنى الحجج هذه انظر اطروحتنا ص ١٣٤ ـ ١٣٦.

٤٠) افلاطون: محاورة طيماوس، مصدر سابق، ص ٣٠٠.

٤١) نفس المصدر والصفحة اعلاه.

٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٠١.

٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

٤٤) انظر تفاصيل ذلك المصدر نفسه، ص ٣٠٦ ـ ٣١٧.

٤٥) لمزيد من التفاصيل انظر:
افلاطون: محاورة تيايتوس بشكل عام، وحكمة الغرب، برتراند رسل، ضمن سلسلة عالم المعرفة، ترجمة فؤاد زكريا، الجزء الاول، ص ١٤٠.

٤٦) رسل، برتراند، حكمة الغرب: مصدر سابق، ص ١٤٠ ـ ١٤١، ويستنتج رسل هذا الراي اعتماداً على افلاطون الذي يقول ـ

ان الصانع فكر، وبعد التفكير وجد انه لا يمكن ان يصدر عن الاشياء المرئية بالطبع كون متكامل بلا فهم، يفضل كونا متكاملاً ذا عقل وفهم وانه يستحيل ان يؤتي احد بالعقل دون النفس، وبناء على هذا التفكير جعل العقل في النفس، والنفس في الجسد، وهندس الكل، ليكون الكل بالطبع ابهى الاشياء، وينجز هو خير الاعمال، وعلى هذا النحو اذن، يجب القول طبقاً لبرهان محتمل، بان هذا العالم في الحقيقة كائن حي ذو نفس وعقل، وانه حدث وصار بعناية الله.
افلاطون: محاورة طيماوس، ص ٢١٢.

٤٧) Bluck, R.a: Plato's Phaedo, London, 1955, P.146.

٤٨) لمزيد من التفاصيل انظر:
افلاطون: محاورة تيايتوس، مصدر سابق، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

٤٩) رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الأول، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

٥٠) كرم، يوسف: الطبيعة ومابعد الطبيعة، مصدر سابق، ص ٣٩.

٥١) رسل، برتراند: حكمة الغرب، ص ١٤١.

٥٢) افلاطون: محاوره تيايتوس، مصدر سابق، ص ١١٠.

٥٣) زكريا، فؤاد: دراسة لجمهورية افلاطون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٥٣.

٥٤) قرني، عزت: الحكمة الافلاطونية، توزيع دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٩٧.

٥٥) افلاطون: محاورة مع تيايتوس، مصدر سابق، ص ١٢٤.
وكذلك نفس المحاورة بشان تفاصيل مثال الشمع.

٥٦) تفاصيل هذه المناقشات انظر:
افلاطون: محاورة السفسطائي، تحقيق وتقديم اوغست ديبس، ترجمة الاب فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٩، ص ١٩٦، فصاعداً.

٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.